المقال الخامس
أثر قدامى المصريين فى الطب اليونانى*

تبلغ الأواصر التى ربطت بين مصر واليونان من القدم والمتانة، ما جعل الأساطير تروى عنها المعجب والمطرب منذ العهود التى سبقت التاريخ المدون.

ولم يقتصر التبادل بين مصر واليونان على السلع والعلوم والفنون، بل تعداه إلى تبادل الهجرة، فعمّر (داناوس) المصرى شبه جزيرة البلوبونيز، كما استوطن الإغريق شمال الدلتا، وتحالف الشعبان واشتركا فى الحروب، ومن ذلك أن شعوب البحار، وهم سكان كريت، خفت لنجدة أحمس عندما حرر بلاده من الهكسوس. وقد استمرت تلك العلاقات ودية وطيدة الأركان دون انقطاع أو فتور طوال الأربعين قرنًا التى سجلها تاريخها.

وهذا الأمر لا يدع مجالا للشك فى أن علوم الطب قد تبودلت بينهما، ومما يعزز هذا الرأى تقدير الإغريق للطب المصرى، قال (هوميروس) فى (الأوديسة)[٩٣]: «إن هيلانة ابنة الإله القدير (زوس) تكتنز هذا البلسم الشافى، فقد جاءها من (بوليدامنا) زوجة (ثونيس) المصرى، لأن مصر الخصيبة غنية بنباتات بعضها مفيد والبعض الآخر ضار. وكل إنسان فى مصر يلم بفن العلاج، إذ إن المصريين من سلالة (بيون) طبيب الآلهة». وفى العصور التالية نجد (أنا خارسيس) يخاطب مواطنيه الإغريق، ويؤنبهم على تفضيلهم الأطباء المصريين على أطبائهم.

ولذا فإنى أود أن أعرض لبعض العلاقات التى يمكن الكشف عنها بالمقارنة بين الطبين من بعض نواحيهما، وهى فن العقاقير، وأسماء أجزاء الجسم، والأوصاف

---

* الجمعية المصرية لتاريخ العلوم - العدد الرابع، سبتمبر سنة ١٩٦٣، القاهرة.

الإكلينيكية، وتسمية الأمراض، والطرائق الجراحية، واختبارات الحمل والولادة، وأسلوب الكتابة، والآراء الطبية.

العقاقير :

لست أستند إلى العقاقير الاعتيادية التى استعملها الشعبان، لأن مثل هذا التشابه فى الاستعمال قد يكون نتيجة طبيعية لتشابه المجموعة النباتية فى هذه الناحية من حوض البحر المتوسط، وإنما تصح المقارنة إذا تجاوز التشابه احتمالات المصادفات، إما لغرابة الدواء، وإما لتشابه الاسم فى اللغتين.

أقول - بادئ ذى بدء - إن (ديوسقوريدس)[٩٤] صاحب الأقرابازين الذى ظل أساسًا لعلم العقاقير حتى عهد قريب، رد ٢٠ فى المائة مما ذكره إلى المصريين، وسرد أسماء تلك العقاقير فى اللغتين.

ولنضرب مثلا لعقاقير غريبة وردت فى الطبين، فإن (برديه إبرس) ماتفتأ توصى باستعمال الصفرة لعلاج العينين[١٨]. وقد قدم (دوسن)[٩٥] حججًا قوية على أنهم إنما قصدوا صفرة الخنزير. وقد أوصى (ديوسقوريدس)[٩٦] باستعمال المادة نفسها فى بعض الأمراض، وعزا (بلينوس) تلك الوصفة إلى (ميليتوس)[٩٧]، لكن (دوسن) يرجح أنها استمدت من بردية مصرية. وتلك الوصفة شبيهة للعلاج الذى أعاد البصر إلى (طوبيا) حسب رواية التوراة[٩٨]

والوصفة الثانية من تلك الوصفات الغريبة هى استعمال لبن المرأة التى أنجبت طفلا ذكرًا، وهذا العلاج يتكرر فى أقرابازين المصريين القدامى، حتى أنه ليبدو أساسًا من أسس علاجهم، إما للإفادة من خواصه الذاتية، وإما لإذابة عقاقير أخرى. وهذا العلاج أوصى به أيضًا (أبقراط)[٩٩] وبعده (ديوسقوريدس)[١٠٠] وبلينوس[١٠١]، وفسر (أرسطو) فوائده التى تميزه عن غيره من الألبان فقال : إن السيدة التى تحمل ذكرًا أقوى بدون شك من تلك التى تحمل أنثى، ولذا فلابد من أن يكون لبنها أكثر فائدة[١٠٢]، وتلك الوصفة أصيلة فى مصر، انفردت بها دون غيرها من شعوب الشرق، إذ إن اللبن فى نظر الأشوريين والبابليين كان مادة ضارة.

ولنذكر وصفتين أخريين من تلك الوصفات الغريبة التى نقلها الإغريق عن المصريين :

أولاهما وصفة شوك القنفذ المحروق لعلاج الصرع[١٠٨]، التى نقلها (ديوسقوريدس).

وثانيتهما استعمال البول فى مرهم لمنع رموش العين من النمو، وفى شراب لعلاج البول الدموى[١٠٣] والصرع[١٠٤]، وهاتان الوصفتان وردتا فى مؤلفات (ديوسقوريدس)[١٠٥ و ١٠٦] (وبلينيوس)[١٠٧] والأقباط[١٠٨].

ولكن أغرب تلك الوصفات جميعًا، وصفة وردت فى قرطاسة سحرية أوصت بغلى فأر فى الزيت لتأكله الأم أو الطفل لشفاء سيل اللعاب واضطرابات نمو الأسنان عند الأطفال[١٠٩]، وقد أكد الكشف عن عظام فأر داخل جثة فى نجع الدير[١١٠] أن هذا العلاج العجيب كان يستعمل فعلا، ومن الغريب أن (ديوسقوريدس)[١١١]، [١١٢] ذكره، وأن (دوسن) وجده مستعملا إلى الآن فى الأوساط الشعبية فى عدة بلاد أوربية[١١٣].

اسماء العقاقير المتشابة فى اللغتين :

نجد هذا التسلسل نفسه فى أسماء بعض العقاقير :

العقار	الاسم اللاتينى	الاسم الإغريق	الاسم المصرى
الأنتموان	ستيبوم	ستيمى	مسدمت
الصمغ	جومى	كومى	قميت
النوشادر	أمونياك	أمونياكوس	(مشتق من اسم الإله آمون؟)
الحنتيت	أسافتيدا	ساجابنون (بتبادل أول حرفين)	جسفن (بتبادل أول حرفين)
النطرون	نترم	نترون	نترى (أحد أوصاف هذه المادة)

ومن البين أننا - عند استعمال شوك القنفذ لإغاء الشعر، وإعطاء الفئران ذوات الأسنان الطويلة لعلاج الأسنان، وشرب البول للشفا من البول الدموى - ننتقل إلى عالم آخر، عالم السحر التشبيهى.

أسماء الأعضاء :

وهذا التشابه نجد له نظيرًا فى أسماء بعض الأعضاء والأمراض، فقد سمى الإغريق حداقة العين (كورى) أى الشابة، وسماها المصريون (شابة العينين). وهذه التسمية لها نظير فى اللاتينية وهو (Pupilla) أى البنت القاصر. والأسبانية وهو (nina de les ojos) (صبية العينين). كما أنه يشابه الاسم الذى أطلقه العرب على الحدقة وهو (إنسان العين). أى أن الاستعارة المصرية نقلها الإغريق ثم اللاتين والعرب والأسبان- فى لغتهم. ولن نترك العينين دون أن نشير أيضًا إلى أن (الماء الأبيض) الذى سماه الغربيون بالكاتركتا (أى الشلال) سماه المصريون (صعود الماء)، والإغريق (أيبوخيسيس) انسكاب الماء، واللاتين (Cataracta) بالمعنى نفسه.

وإذا تأملنا فى المعدة والقلب وجدنا خلطًا لغويًا عجيبًا بينهما فى أغلب اللغات. فقد أطلق المصريون على المعدة (رو - نيب) ومعناها فم القلب، كما نفعل اليوم فى لغتنا الدارجة، وبالمثل فإن الإغريق سموها (ستوماخون) وهو لفظ مشتق من (ستوما) أى فم، ونحن نطلق بالإنجليزية واللاتينية كلمة (Cardia) أى القلب على أعلى المعدة، ونقول عمن يشعر بميل للتقيؤ (قلبه قايم عليه).

وهناك لفظ آخر متشابه فى اللغتين. فإن النظرة الروحانية إلى المرض التى عمت بين بعض المصريين، كانت تنسب المرض إلى أرواح شريرة على رأسها كبير سموه (النامى)، وهذا هو الذى سماه الإغريق (diabolos)، ومعناها كذلك (النامى)، وقد اشتقت منها الانجليزية (devil)، والفرنسية (diable) والإيطالية (diavolo).

العلاجات الجراحية :

ولكن التشابه لم يقف عند مجرد الاقتباس اللفظى، ولنأخذ مثلا وسائل العلاج

الجراحية : وردت فى (أبقراط)[١١٤] التحريكات التى يجب إجراؤها لرد خلع الفك : «يثبت المساعد رأس الجريح، ويمسك الفك الأسفل من الداخل والخارج بالقرب من الذقن بالأصابع. ثم ينقل فجأة.. إلخ» وهى ترجمة لفظية لما ورد فى (قرطاسة إدوين سميث)[١٢]، وقد رسمت فى مؤلف للطبيب القبرصى (أبولونيوس) عن طريق أبقراط العلاجية[١١٦].

كسر الترقوة :

(بردية إدوين سميث) : الحالة ٣٥ : إذا تفحصت رجلا مصابًا بكسر فى الترقوة ووجدت بها قصرًا، فقل : هذا مرض سأعالجه، وألقه على ظهره، ثم ضع بين اللوحين وسادة حتى يبتعد جزءا ترقوته ويرجع الكسر إلى موضعه.

(أبقراط) : كتاب المفاصل[١١٥] : «ولكن هناك طريقة وهى كما يلى : إن كان القصر قد انتقل فى اتجاه المحور الأمامى والخلفى ألق المريض على ظهره وضع بين اللوحين شيئًا مرتفعًا حتى ينخفض الصدر من الجانبين بالقدر الممكن.

ولنتدرج الآن إلى **وسائل التكهن فى الحمل والولادة :**

تحوى (قراطيس برلين، وكارلزبرج، وإبرس، وكاهون) مجموعات من الاختبارات التى كان الغرض منها التكهن بنوع الطفل قبل ولادته وإلى التمييز بين السيدات الخصبيات وبين غيرهن. وتلك الطرائق متشابهة إلى حد بعيد يدعونا إلى التساؤل هل هى مأخوذة من أصل واحد عتيق ؟

قد يكون هذا الأصل الموسوعة التى تحدث عنها (كليمان الإسكندرى)[١١٧] والتى قال عنها إنها كانت تحفظ منذ عهد سحيق بالمعابد المصرية، وإن الجزء الخامس منها موضوعه أمراض النساء، والسادس موضوعه الرمد، ومن الحجج التى دفعت (إفرسن)[١١٨] إلى اعتناق الرأى بأن (قرطاسة كارلزبرج) من تلك الموسوعة، أن واجهتها مخصصة لأمراض النساء كالجزء الخامس وظهرها للرمد كالجزء السادس[١١٩].

ولتلك الاختبارات أنواع ثلاثة :

أما النوع الأول فإنه مبنى على تأثير بول الحامل على نمو القمح أو الشعير، حسب

نوع الطفل الذى تحمله، وهذا النوع من الاختبارات وجده (إبل)[١٢٠] مذكورًا فى كتابات (قسطنطين الإفريق)[٥١]،[١٢١] الذى نقل مؤلفات كثيرة مدعيًا وضعها، وقد كان (إبرز) استنتج من هذا أن بعض الأصول المصرية كان فى متناول (قسطنطين) فى ترجمة قبطية أو عربية. إلا أن (إفرسن)[١١٨] كشف فى مؤلف لطبيب من فلورنسا وهو (بتروس بايروس) عن الوصفات نفسها التى نقلها عن بعض الأصول البيزنطية. ومن الأصول البيزنطية التى ذكرت النص ذاته (الكودكس بولينى ليبسينسيس)المماثل لمؤلف (Peri efporiston) المنسوب إلى (جالينوس)، ومنها أيضًا بعض التراجم المتأخرة (لسورانس) التى دست فيها، حسب رأى (إفرسن)، تلك الطريقة. وتلك الملابسات - أى وجود النصوص ذاتها فى كتابات بيزنطية توحى بأن بعض الوصفات المصرية وصلت عن طريق الإغريق إلى سالرنو حيث كان (قسطنطين)، ومنها إلى أوربا[١٢١] و [١٢٢] و [١٢٣].

وأما النوع الثانى من الاختبارات فإنه يبدو مبنيًا على فكرة معقولة، وهى أن هناك اتصالا بين المهبل وبين التجويف البطنى عند السيدات الخصيبات، وأن هذه الطريق مسدودة عند السيدات العقيمات. ذلك أن الوصفة ٢٨ من قرطاسة (كاهون)، ووصفة من الجزء الثالث من كتاب (السيدات العقم) (لأبقراط)، توصيان بوضع بصلة طوال الليل داخل المهبل. فإن فاحت رائحة البصل من الفم فى اليوم التالى استدل على أن السيدة سوف تحمل. وكذلك أوصت الوصفة ١٩٥ من (قرطاسة برلين) وأخرى من (قرطاسة كارلزبرج)[١١٩] بالتبخير تحت السيدة المطلوب اختبارها، فإن تجشأت (تكرعت) فإن الحمل ممكن. ومثل تلك التجربة بالتبخير وردت فى (فصول أبقراط)، وإن اختلفت العوارض التشخيصية، وهى ظهور رائحة المادة المبخرة فى الفم مثلما تظهر فى وصفة البصلة. وقد ذكر أيضًا هذا الاختبار عن طريق الفم فى (قرطاسة برلين) (رقم ١٩٣) حيث جاء أن السيدة إذا تقيأت بعد أكل بطيخ ممزوج بلبن امرأة أنجبت طفلا ذكرًا، فإنها سوف تحمل، أما إذا أخرجت ريحا فإنها لن تحمل. وفى (كتاب السيدات العقيمات لأبقراط)[١٢٤] أوصى بإعطاء (بوتيرون) مع لبن من النوع نفسه فإذا تجشأت[١٢٢] الحامل استدل على أنها ستلد وإلا فإنها لن تحمل، وقد أكد دوسن بعد دراسة لغوية مستفيضة أن (البوتيرون) هو نوع من القرع يشابه البطيخ، بل ربما كان هو البطيخ، الذى أسماه

المصريون (بددوكا)، وهذا هو لفظ يشابه تسميتنا العربية الحالية (بطيخ) لهذا النبات.

ولم يكتف (أبقراط) بهذا، بل أكد إن هناك مواد أخرى تسبب الانفعالات نفسها[١٢٣] كشراب العسل المخمر (الفصول، ٤١) ولكن فكرة الاختبار فى كل الحالات متشابهة تشابهًا يكاد يكون تامًا.

والمجموعة الثالثة من تلك الاختبارات، وردت فى (قرطاسة كارلزبرج) وهى مبنية على لون العينين، وتلك طريقة استعملها (أبقراط) كذلك لتشخيص الحمل أو التكهن به[١٢٤].

لهذا يصح لنا أن نرجح أن بعض أجزاء موسوعة مصرية فى أمراض النساء وصلت إلى (إبقراط) مجزأة فنقلها، ثم نقلها منه أطباء بيزنطيون، وبعدهم أطباء سالرنو، ومن ثم علماء أوربا، كما أن هذا يوضح السبيل الذى قد تكون طرقته بواقى الطب الفرعونى الواضحة فى الطب الشعبى الأوربى فى القرنين السابع عشر والثامن عشر.

وإذا تناولنا الدورة الدموية فإن معلومات المصريين تبدو أصح من آراء (أبقراط) فيها. فقد ورد فى (قرطاسة إبرز) - قبل (هارفى) بأربعين قرنًا - أن القلب يستقبل الدم والهواء والسوائل ويوزعها، وأن النبض الذى يستحس فى مختلف أجزاء الجسم إن هو إلا كلام القلب فيها. وهذا ما جهله الإغريق.

ولكن هل عد المصريون ضربات القلب؟ إن هذا العد ذكره لأول مرة فى التاريخ (هيروفلوس السكندرى) الذى استعمل لهذا الغرض ساعة مائية. وتلك الآلات التى لا غنى عنها للعد عرفها المصريون منذ عهد تحتمس الثالث إن لم يكن قبله. وهناك عبارة فى (بردية إدوين سميث) ترجمت (عد النبض أو وزنه) وترجمها (جرابو) (قياس القلب)[١٢٧] ورجح بريستد أن المقصود هو عد النبض[١٢٨]، ومن عجيب المصادفات حقًا أن يكون أول من ذكر عد النبض عالم اسكندرى، إذ أن أطباء تلك المدينة عندما بدأ البطالمة يدرون عليهم المساعدات وألوان التشجيع، كانوا ورثوا مدارس ومكتبات الدلتا التى كان عاهل الفرس (دارا) قد أعاد بناءها وتزويدها بالمؤلفات قبل هذا بعدة قرون، وكانت ما تزال تزخر بالمؤلفات فى القرن الثانى، فقد قال (ديودور الصقلى) : إن أطباء الإغريق كانوا يؤمون مكتبة منف للاطلاع على ما فيها من الكتب ذوات القيمة.

ثم إن كتاب القلب فى (قرطاسة إدوين سميث) يبدأ بالعنوان الآتى : «هذا بدء كتاب الطبيب السرى». هل كان إذن قياس سرعة القلب أحد تلك الأسرار التى حسبما روى (سترابو) لم يفشها كهنة مصر لزوارهم ؟

وهناك مشاهدة أخرى تبدو كأنها وثبت من القراطيس إلى كتابات (أبقراط) وهى معرفة الشلل الذى يحدث من جرح فى المخ أو النحاع الشوكى. فلقد وصف (أبقراط) فى كتابة عن جروح الرأس والتقلصات التى تنتاب جزء الجسم المناقض لجهة الرأس[١٢٩] (وهو فى هذا أصوب من المصريين)، ولكنه ربطها لا بالجرح ذاته، وإنما بالالتهاب الذى يضاعفه، وعلى كل حال فإنه لم يذكر شأن المخ فى ذلك معتقدًا أنه غدة وذلك نظرًا إلى طبيعته الإسفنجية. وإليك النص :

«وإذا أهمل الطبيب فى البحث عن كسر أو شرخ أو كدم، فلم يكحت العظمة ولم يترينها فإن الحمى تصيب المريض ويتغير لون الجرح ويصبح لزجًا أشبه باللحم المملح، ويبدأ عندئذ يغنغر ويموت المريض فى حالة هذيان».

وهناك مرض آخر ينسب أول وصف له إلى (أبقراط) وهو (التيتانوس) وقد يكون سبقه إليه مؤلف (قرطاسة إدوين سميث) فى وصف الحالة السابعة وهى حالة كسر جمجمة تبعه تقلص فى الرقبة وتعوج فى الفم، ولو أن الأستاذ الدكتور محمد كامل حسين اعترض على هذا التشخيص وعدها حالة التهاب سحائى[١٣٠]، وقد قالت القرطاسة إن المرض قاتل «ما لم تظهر علامات تراخ» لدى الفحص الثالث. ويمكن مقارنة هذا القول بما ورد فى (أبقراط)[١٣١] فقد قال إن المريض (بالتيتانوس) يبرأ إذا انقضى أربعة عشر يومًا بعد بدء المرض، وهذه الفكرة هى فكرة «الأيام البحرانية» التى هى من صميم أفكار (أبقراط) والتى تنم على اهتمامه بمعرفة مآل المرض الذى أفرد له مؤلفا كاملا أسماه العرب (تقدمة المعرفة)، ولكن المصريين أبدوا الاهتمام نفسه فقد ذيلوا كل مشاهدة من مشاهداتهم السريرية بعبارة تدل على رأيهم فى نهاية الحالة واحتمال إشفائها.

ولننظر الآن إلى أمراض النساء. فقد وصفت (قرطاسة كاهون) وغيرها اضطرابات وآلامًا فى العينين والأعضاء ومختلف أجزاء الجسم، عزتها إلى حالات مرضية فى الرحم

أو إلى انتقال هذا العضو من محله الطبيعى، وجاء الوصف ذاته فى الكتاب الثانى من مؤلف (أبقراط) عن أمراض النساء. ومن تلك الاضطربات مرض عصبى. وقد يكون من المناسب أن نذكر فى هذا الصدد أن لفظ (هستريا) مشتق من (هستر) وهو الرحم فى لغة الإغريق.

أما علاج تلك الأمراض فقد ورد فى (قرطاسة إبرس) علاج لا نبساط عنق الرحم وهو مرض وصفه أيضًا (أبقراط)[١٣٢] ويذكرنا هذا بمرض آخر غريب اشترك الشعبان فى وصفه وهو اتساع حدقة العين التى سبق أن ذكرنا تشابه اسمها المصرى واسمها الإغريق. فقد عنيت (قرطاسة إبرس) (ص٦٩) بوصف علاج له. ويبدو لنا وصف علاج لمثل تلك الحالة عجيبًا، ولكن اليونان اعتبروا هذا الاتساع مرضًا [١٣٣]،[١٣٤] والأرجح أنهم لاحظوا اتساع الحدقة عند فقدان البصر فظنوه سبب تلك العاهة.

وبعد هذه الجولة فى الأمراض وأسمائها والعقاقير ووصفها، يجدر بنا أن نقارن بين المنهج اللغوى الذى نهجوه فى الكتابات الطبية. نستنتج أولا أن التبادل كان مطردًا نشيطًا بين المنهج اللغوى الذى نهجوه إذ إن تغريمة من (قرطاسة لندن) كان يشترط فيها أن تتلى بلغة كريت[١٣٥]، وقد أظهر (دوماس)[١٣٦] أن تعبيرات وأساليب لغوية تكررت فى الكتابات المصرية تلازم العودة فى الكتابات الأبقراطية، فإن عبارات مثل «دواء آخر» و «ألوفار ماكون» بالمعنى ذاته، والعبارة التى كثيرًا ما تتكرر فى الهوامش (دواء ناجع)، والتوصية بترك الدواء معرضًا لندى الليل، كلها مشتركة بين الطبين.

الآراء الطبية :

وهناك سؤال يتبادر إلى الذهن، لقد قورن طب المصريين بطب الإغريق وميز الثانى على الأول إذ نعت الأول بالشعوذة والروحانية ووصف الثانى بالمنطقية والتعقل والاعتماد على الاختبار، ولكن الاعتبارات السالفة تدفعنا إلى التساؤل؟ ألم توجد بينهما بالإضافة إلى مجرد الاقتباسات العملية مشاركة فى التفكير الطبى.

علينا أول الأمر أن نسلم بافتقارنا إلى مصادر كافية وإلى أصول تسمح لنا بمعرفة نظر علماء المصريين القدامى إلى الصحة والمرض معرفة كاملة، فإن كل ما نملكه لمانية

قراطيس طبية، أحدها طبي بالمعنى الصحيح، ولا تزيد الأخرى على كونها خليطًا غير متجانس من المشاهدات الطبية، وأصرخ أنواع الشعوذة، هذا في حين أن عدد المؤلفات الإغريقية الأصيلة تحصى بالمئات. ولذا وجب علينا أن نتريث قبل الحكم، فهناك احتمال الكشف عن برديات جديدة تلقي ضوءًا أنصع على أساليب تفكير أجدادنا. فتقلب نظرتنا إلى طبهم كما فعلت (بردية إدوين سميث) من قبل.

ومع ذلك ومع قلة ما ورد في النصوص عن أسباب الأمراض وكيفية حدوثها فإنه يبدو لنا أن كتاب « القلب والأوعية » وبعض النصوص المبعثرة في البرديات المختلفة تحوي نشأة نظرية الأخلاط الإغريقية ونظرية النفث (Pneuma) التي سادت جزءًا من الفكر الطبي في الإسكندرية.

لقد ناقشنا هذا الموضوع بالتفصيل في بحث سابق (انظر المقال الرابع) استنتجنا منه أنه يجب علينا - إن لم تصل إلينا معلومات جديدة- الاكتفاء بالقول إن نظرية الأخلاط الإغريقية الأصل التي سادت الفكر الطبي حتى القرون الأخيرة، ربما تكون قد أسست على تأملات الأطباء المصريين، ولكنها لم تصل إلى شكلها النهائي إلا بعد تطور طويل على ضوء آراء (أنباذ قليس، وفيثاغورس، وألقمايون ، وأبقراط) الفلسفية والرياضية.

ولقد أراد البعض إدخال الشك في قيمة الطب المصري وفي الفائدة التي جناها منه أمثال (أبقراط)، فبدءوا بالقول بأن (أبقراط) لم يحضر إلى مصر أبدا، وإن الروايات عن زيارته مشكوك في صحتها، لأنها روايات متأخرة قرونا عديدة بعد وفاته، ثم أضافوا أنه لم يكن على علم باللغة المصرية القديمة ولا بالهيروغليفية، فكيف تأتى له أن يتصل بالكهنة ويتعرف على أسرارهم. وانتهوا بالقول بأن علوم المصريين كانت مزيجا من الشعوذة والسحر والطب البدائي، ولم يكن به غناء لأبقراط وأمثاله.

وقد عنى عالم فرنسي (الأستاذ فرانسوا دوما) بالإجابة على كل هذا ، فأظهر أولا أن أول كاتب تحدث عن زيارة (أبقراط) لمصر كان معاصرًا له، ثم أن علوم المصريين لم تكن على ما وصفها هؤلاء، فإنها كانت متقدمة جدًا وإن كنا نجهل الكثير منها لقلة المستندات التي وصلتنا عنها. ثم أتى بالبرهان على وجود تبادل لغوي نشيط بين الجالية الإغريقية وبين المصريين، ظهر في استعمال الاثنين أساليب متبادلة وكلمات مشتركة، وذكر

لتدعيم هذا وجود مترجمين (تراجمة) فى المعابد والعواصم من الإغريق والمصريين يلمون كل الإلمام باللغتين، ليساعدوا التجار والمسافرين والزوار والسياح فى معاملاتهم مع المصريين.

إنى بهذا العرض السريع لست أنتقص بتاتًا من قيمة طب الإغريق بالبحث عن أصول له، ولكن كل نهر له منابع، وأكبر الأنهار وأجملها أكثرها روافد وأصولا، ولذا فإن الهدف من تلك المقارنات إنما هو تأكيد وحدة الحضارة التى ازدانت بها شواطىء البحر الأبيض المتوسط فى فجر التاريخ، والتى نشأت فى مصر ثم تناولها الإغريق فوصلت إلى قمتها عندما اجتمع المنطق الإغريق والواقعية المصرية، فظهرت معجزة الإسكندرية التى كانت منهلا لعلوم العصور العتيقة، حتى أصبحت منبعًا لحضارتنا الحالية عندما ارتوى منها العرب وأثمروا أجمل ثمار العلوم والمعارف.